# المسيحية والمؤرخون القدامى

**أ.د. زينب عبد العزيز**

**٢٠١٧**

# المسيحية والمؤرخون القدامى (٤/١)

من أهم ما يعاب على تاريخ نشأة المسيحية اختفاء أية أصول ووثائق قديمة وعدم الاحتفاظ إلا بما صاغته الأيادي العابثة، وهو ما ضمنته الأناجيل الأربعة، وما أطلقت عليه كتب وتراث الآباء، وبخلاف ذلك لا أثر لتلك النشأة بصورة علمية موثقة، وهو ما سوف نعرضه من خلال أربع مقالات لهذه الجزئية، أى لدى المؤرخون القدامى بمختلف أحقابهم، وهم المؤرخون اليهود، والمؤرخون الوثنيون، والمؤرخون اليونان، والإمبراطور جوليان لأنه يمثل نقطة فارقة أو علامة كاشفة سنراها في حينها. وذلك لتأكيد إن مصر لم تكن مسيحية منذ القرن الأول كما يزعم النصارى، بل ولم تكن مسيحية بكاملها على الإطلاق.. ونبدأ بالبند الأول :

١ –المؤرخـــون اليـــهـود :

**فـيلون السكندري** (١٣ -٢٠ ق م -٥٤ م) Philon d'Alexandrie

هو فيلسوف ومثقف، ولـد أيـام هيرود الأكبر، وتـوفى عـام ٥٤م، أي أنه فرضاً يُعد معاصراً تماماً ليسوع؛ وهـو شـديـد الإلمام بكل ما يتعلق باليهود. وتتضمن مؤلفاته ٥٧ عملاً، منها كتاب بعنوان "عصر بيـلاطس " وهـو كتاب لو استطاع أن يضمنه شيئاً عن يسوع المسيح لـوجـد عشرات الإمكانيات؛ لكنه لم يـذكر يسـوع مـطلقاً.

ويُعد فيلون من كبار مـثـقفي عصره وأنه شـديد الأمانة الموضوعية ومشهود له بأنه لا يغـفل كبيرة ولا صغيرة في الموضوع الـذي يتناوله. وذلك ما إتبعه في كل كتاباته المتعلقة بالطوائف الدينية المتعـددة، لذلك لا يملك المرء إلا أن يتساءل: لماذا لا يـذكر شيئاً عن يسوع وحـواريـيه، خاصة وأن شعبية يسوع – وفـقاً للوثـائق الرسمية – كانت تـفوق الآفـاق، وأنها تعـدت سـوريا، وأنهم أحضروا كل المرضى ليشفيهم، ولا يـذكر شيئاً عن ألاف الأشخاص الـذيـن اتبعوه وأطعمهم بمضاعـفة الخبز والسمك.. خاصة لا يـذكر فيلون شيئاً عن عملية "صـلب" المسيح ولا عـن تلك القـيامة المتـفردة بين الأمـوات، أو عن أولئك الموتى الذين عـادوا إلى الحياة وراحـوا يتجولون في شوارع المدينة في وضح النهار! وكلها أحـداث لا يمكن لمـؤرخ بمثل دقـة فـيلون أن يغفلها أو ألا يــذكر عنها شيئاً.

بل المعروف أن فـيلـون كان من الشجاعة بحيث أنه سـافـر إلى رومــا لمقابلة الإمبراطور الـرومـاني كاليجـولا دفـاعاً عن اليهود ضحايا الاضطهاد الـدامي سنة ٣٩ في الاسكندرية. فاستقبله كاليجولا لكنه لم يستجب لمطلبه.. وبعد عـودته إلى الإسكندرية راح يواصل كتابة أعماله التي لا يـرد بها أي ذكـر ليسـوع أو لجماعة المسيحـيين الإسكندريين ومنهم المـدعـو أبوللونيوس الطـواني، الذي يُقال عنه أنه كان منافساً أو شبيهاً ليسوع الرسـول.

وكان فـيلون تـلميذاً لأفـلاطـون، صاحب نظـرية "اللوجوس" أو "الكلمة"، وما أكثر ما كتبه عنها وعن العـلاقة بين الله العــالِم بكل شيء وبين تلك الـدنيا بنواقـصها. وسرعان ما جعل من "الكـلمة" كائناً مستـقلاً قـد خـلق كل شيء لأنه يحتوي على الصفات الإلهية، وكل المخلوقات نتجت عنه وهـو غير مخلوق ومنبثق من الله ذاتـه.. وما أشبه ذلك ببـداية إنجيل يوحنا الذي يـبدأ بعبارة: "وفي البدء كانت الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" (١: ١).

أي أن فكرة "الكلمة" كانت واردة في الفكر الفلسفي ولم يضف إليها إلا عبارة "التجسد" التي أضيفت في القرن الثاني.

والأكثر من ذلك أن القس الإيطالي ليوجي كاتشيولي الذي خرج عن سلك الرهبنة، وهو من مواليد عام ١٩٣٤ م، يؤكد في كتابه المعنون: "مهزأة المسيح" أن فيلون السكندري كان ينتمي إلي جماعة الآسينيين، ورغمها "لا يذكر أبداً أي شيء عن يسوع أو المسيحيين، بل بالعكس تماماً، نراه يستبعدهم من أعماله المكتوبة فيما بين سنة ٥٠ و ٦٠م، ويتحدث عن (لوغوس) لا يزال سوف يأتي روحياً، وبذلك فهو ينكر أي مجيئ ليسوع في شكل مادي" (صفحة ١٠٩).

**فلافيوس جوزيف** (حوالي ٣٧م -١٠٠) Flavius Joseph

وُلد جوزيف عام ٣٧م من أسرة يهودية ميسورة الحال وتم تعيينه حاكماً على الجليل في بداية ثورة ٦٦؛ وقد تولى قيادة المحاربين ضد الرومان. ثم اعتقله الإمبراطور فسبازيان وسرعان ما انقلب موقف فلافيوس جوزيف، إنقاذاً لحياته، ليصبح متعاوناً بحماس مع الرومان، الأمُر الذي سمح له بالحصول على الجنسية الرومانية، إلا أن ذلك لا يمنع من أنه من كبار مؤرخي عصره، ومن أهم مؤلفاته: "حرب اليهود ضد الرومان" من سبع مجلدات، والأثار اليهودية" أو "التاريخ القديم لليهود"، من عشرين مجلداً، إضافة إلي مؤلف "ضد أبيون" من جزئيين وسيرته الذاتية.

وفي كل هذا الكم المستفيض خاصة في كتابه "آثار اليهود"، وقد ضمنه منذ عصر سفر التكوين حتى حرب اليهود مع الرومان سنة ٦٦م، لا يوجد سوى فقرة من بضعة أسطر تقول:

"وفي نفس العصر آتى يسوع ،إنه رجل عاقل ، إذا كان يجب أن نطلق عليه رجلاً. لأنه كان صانع مُعجزات وسيد الرجال الذين يتلقون عنه الحقيقة بسعادة. وقد جذب إليه العديد من اليهود والهللينين، أنه كان المسيح، وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بناء على وشاية من مواطنينا الأوائل، لم يكف الذين كانوا يحبونه عن الإعجاب به لأنه ظهر لهم بعد ثلاثة أيام، لقد قام، إذ كان الأنبياء القدامى قد أعلنوا ذلك وآلاف الأشياء الأخرى بشأنه. والجماعة التي يطلق عليها المسيحيين لم تختف بعد"!

ولو كانت هذه الفقرة نصاً أصلياً لكانت حاسمة، إلا أن كافة العلماء يجمعون على أنها إضافة تحريفية لاحقة. فهي من ناحية، لم تكن موجودة في أقدم نسخة من كتاب "أثار اليهود"، تلك التي كان يمتلكها أوريجين في مطلع القرن الثالث والذي كان يؤكد أن فلافيوس جوزيف كان يرفض "الاعتقاد بالمسيح". ومن المعروف أن فلافيوس جوزيف كان شديد التمسك باليهودية الفريسية، وهو ما يبدو في كل أعماله، خاصة في سيرته الذاتية وفي الكتاب الهجومي الذي ألفه بعنوان "ضد أبيون".

ويؤكد الأب جيلييه أمين مكتبة سانت جنفييف ومترجم أعمال فلافيوس جوزيف سنة ١٧٥٦: "أن التناقضات والتحريف يتولد أمامي في كل خطوة. إنني مضطر إلى القول بأن كتاباته قد تم تعديلها بحيث أصبح يتناقض مع نفسه، وأخشى من تكرار ذلك القول وأثره غير الحميد على أعماله".

ويوضح روجيه بترينيه (Roger Peytrignet) إن "المسيحيين قد استولوا على أعمال جوزيف، إذ أن مواطنيه قد تباعدوا عنه، لانضمامه إلى صفوف الرومان، وراحوا يحرفونها وفقاً لهواهم"، ("يسوع المسيح أسطورة أم شخص تاريخي" صفحة ٢٩).

ويؤكد كل من ألفاريك وكوشو، في كتاب لهما حول "مشكلة يسوع وأصول المسيحية"، استحالة أن ينطق فلافيوس جوزيف بمثل هذا القول "لأنه لو كان قد قاله حقاً لكان مسيحياً. إلا أنه كان شديد التعلق بيهوديته الفريسية، وهو ما نُطالعه في مؤلفاته اللاحقة".

وإجماع أخر من كافة الباحثين على أن تلك الفقرة أضيفت بفعل فاعل، يوضح أن الجزء الذي أضيفت فيه لا يتفق وسياق الكلام، حيث إن جوزيف كان يتحدث عن المصائب التي لحقت بمواطنيه أيام بيلاطس. وأنه إذا ما حذفت تلك الفقرة فإن سياق الكلام يتواصل بموضوعية واضحة!

أما أندريه فوتييه (André Vautier)، فيوضح في كتابه عن " لُغز يسوع" أن فلافيوس جوزيف قد كتب عدّة ترجمات "لحرب اليهود" وأن النص الآرامي له يرجع إلى عام ٧٥م. والنص اليوناني إلى ٧٩م. وأن هذه الترجمة اليونانية لا تتضمن أية إشارة إلي يسوع إلا أن الأبحاث قد دلت على أن الجزء الأول والأجزاء من ثلاثة إلى سبعة رائعة الصياغة والمضمون الدقيق، إلا أن الجزء الثاني الذي يقص الأحداث التي تتوافق والفترة التي عاش فيها يسوع رديئة الصياغة وغير متناسقة المضمون. وذلك دليل قاطع على أن هذا الجزء قد تم التلاعب فيه بأيدي النّساخ المسيحيين، وهنا يوضح: "يجب علينا ألا ننسى أن القساوسة وحدهم هم الذين كانوا يُجيدون القراءة والكتابة، وأن الأجزاء المتعلقة بيسوع وبيوحنا المعمدان قد قاموا بإلغائها من النسخ التي عملوها للنص اليوناني".

لذلك يؤكد أندريه فوتييه بإصرار واضح: "أن كتاب (حرب اليهود) والجزء الثامن عشر من كتاب (التاريخ القديم لليهود) اللذان يتناولان أحداث القرن الأول الميلادي" تتضمن آثاراً شديدة الوضوح للتغيير والتبديل، والنصوص المدسوسة، والنصوص المحذوفة.

ويُشير فوتييه في الفصل الثالث من كتابه إلي أن مقدمة كتاب "حرب اليهود ضد الرومان" : "النص اليوناني يتضمن ملخصاً لما سوف يتناوله الكتاب ، وفي هذه المقدمة، فإن الكتاب في وضعه الراهن، ينتقل فجأة من حكم الإمبراطور أغسطس إلي السنة الثانية عشرة من حكم الإمبراطور نيرون" !

أي أنها فجوة تشتمل على حوالي ستين عاماً، "ومن اللافت للنظر أن هذه الفجوة هي الفترة التي تحتوي على نشاطات كل من يوحنا المعمدان، ويسوع الناصري، وبولس الطرسوسي".

ومن الواضح أنه لا يمكن لواحد في مثل دقة فلافيوس جوزيف أن يقفز متغاضياً عن مثل هذه الحُقبة بكل ما فيها من أحداث مصيرية. وهنا لا يمكن لأي دارس أمين إلا أن يُشير بأصابع الاتهام إلى الأيادي العابثة في الكنيسة التي من الواضح أنها قامت، منذ لحظاتها الأولى، على عبثيات الغش والتحريف والتزوير.

لذلك يقول لويجي كاتشيولي: "إن الكنيسة قد حرفت الفقرات الواردة في مؤلفات فلافيوس جوزيف، واختلقت حريق روما الذي نسبته إلى نيرون حتى يمكن اعتبار الضحايا أو الشهداء الآسينيين أنهم شهداء مسيحيين والعديد من الأكاذيب التي لا يكفي مجلداً لاستيعابها، إنها أكاذيب ما أن يكتشفها القارئ حتى تؤدي إلى نتيجة عكسية لما أراده المزيفون. وتكفي الإشارة هنا إلى كم التحريف الذي قام به يوسبيوس، أسقف القيصرية (٣١٤ -٣٤٠)، والذي أطلق عليه المؤرخون لقب "المزوّر" لنرى ما الذي قام به المسيحيون لمواجهة نقص الوثائق ولمحاولة إثبات الوجود التاريخي للشبح الذي أطلقوا عليه اسم يسوع" ("مهزأة المسيح" صفحة ١١١).

ويورد العالم القس السابق جي فو (Guy Fau) في كتابه المعنون "خرافة يسوع المسيح" : "أن النصوص المتعلقة بيسوع المسيح ظهرت لأول مرة في القرن الرابع في أعمال يوسبيوس ولم تكن قد وجدت بعد في كتاب "الأثار العبرانية" في عهد أوريجين (١٨٥ – ٢٥٤)، بما إنه هو بنفسه يؤكد في كتابه المعنون "ضد سلسيوس" أن فلافيوس جوزيف لم يتحدث أبداً عن يسوع يُدعى المسيح. إن التزوير لشديد الوضوح لدرجة أن الكنيسة نفسها لم تعد تدافع عن تلك الفقرة المدسوسة في أعمال فلافيوس جوزيف ".

جوست من طبرية (القرن الأول) Juste de Tibériade

يُعد جوست الطبري، أو من مدينة طبرية، مؤرخاً معاصراً لفلافيوس جوزيف ومنافساً له.. وقد كتب هو أيضاً كتاب بعنوان "تاريخ اليهود" وقد اختفى هذا الكتاب من الوجود حالياً وإن كان قد ظل حتى القرن التاسع. ونعلم من فوسيوس، بطريرك القسطنطينية أنه لم يذكر يسوع بكلمة واحدة، إذ دون في يومياته قائلاً: "جوست لا يقول شيئاً عن مجيء المسيح ولا عن وقائع حياته ولا عن المعجزات التي قام بها".

وهنا يؤكد روبير بترينييه: "إذا كانت قد تمت محاكمة يسوع بالظروف الوارد ذكرها في الأناجيل، لاضطر الحاكم أن يكتب تقريراً رسمياً إلى رئيسه وفقاً لما تقتضيه القواعد المتبعة ولكان قد تم حفظه في الأرشيف الإمبراطوري. ويزعم الفيلسوف القديس جوستان (القرن الثاني الميلادي) أنه قد شاهد هذا المحضر شخصياً وكان أول من رآه، ولابد من وجوده في أرشيف الدولة، ولابد من أن يكون محتواه موافقاً تماماً لكل ما ورد بالأناجيل".

إلا أن مثل هذا التأكيد الصادر عن أحد القديسين المشهود لهم بالولاء للكنيسة لدرجة أنها قامت بإضفاء صفة القداسة عليهم، هل يمكن أن تؤخذ في الاعتبار؟! فالمعروف أنها حرقت كل من عارضها وقامت بإضفاء صفة القداسة على الذين تعاونوا معها في أغراضها.

**التلمود**

التلمود كلمة عبرية تعني " التعاليم ". وهو يتضمن التعليمات والتعليقات المتعلقة بنصوص التوراة أو العهد القديم. ويُعد التلمود تكملة للشرع المكتوب وتقنيناً للشرع الشفهي مؤكداً العقيدة التوراتية "للشعب المختار".

وقد تمت صياغة الجزء العقائدي فيه في القرن الثالث الميلادي بحيث يؤكد سيادة الدين اليهودي. ويزخر التلمود بالاتهامات ضد المسيحيين، الأمر الذي أدى إلى إدانته رسمياً في الغرب في القرون الوسطى.

ومن الصور الساخرة التي يحتوي عليها تريقه لاذعة ضد الأناجيل وضد من يطلقون عليه: "الابن المزعوم لله؛ غير الطاهر المولد؛ إذ أن والدته عاهرة يهودية اسمها مريم وجندي روماني من جنود الاحتلال اسمه بانتيرا". ويصف التلمود المعجزات التي قام بها المسيح "بأعمال من السحر مأخوذة من عبادة الشياطين ولذلك حُكم عليه بالموت لمحاولته إغراء الشعب اليهودي وحثه على الثورة".

ووفقاً للتلمود فإن المسيح لم يُصلب وإنما تم رجمه ثم عُلق على شجرة. ويورد بيير دي جرانميزون Pierre de Grandmaisonفي كتابه عن "يسوع المسيح" نصاً أخر يقول: "وأخيراً تمت محاكمته في ليدّا واتهامه بالسحر والارتداد. وقد وُضع على عمود التشهيد طوال الأربعين يوماً التي سبقت موته، وكان المنادي يعلن بصوت عال: هذا الشخص سيُرجم لأنه مارس السحر وأضل إسرائيل. وأي شخص يعرف شيئاً لتبرأته ليتقدم بشهادته ويعلنها. لكن أحداً لم يتقدم وتم إعدامه يوم الاستعداد لعيد الفصح. ويقول أخرون أنه تم رجمه".

وهنا لابد من الإشارة إلى موقف اليهود من المسيحية، فعلى الرغم من كل ما قدمه الفاتيكان من تنازلات تخرجه تماماً عن نصوص الأناجيل وعقائد المسيحيين بتبرأة اليهود من دم المسيح في مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٥)، وذلك رغم ٣٥ إشارة في إنجيل يوحنا وحده تتهم اليهود بقتل المسيح، فإن اليهود لم يغيروا من موقفهم ولا من نصوصهم التي تتهم مولد السيد المسيح بالسفاح والعياذ بالله.

**المشـــناه:**

والمشناه هي مجموعة من ٦٣ بحثاً لليهود وتعليق على التوراة وتدوين للشرع الشفهي وتمثل القاعدة الأساسية للتلمود إضافة إلى تعليقين أخرين. وقد عثر هليل (Hillel)البابلي، وهو أحد علماء الحاخامات، على نسخة من المشناه سنة ٤٠ ق.م، في منطقة طبرية قرب بحر الجليل حيث دارت أحداث حياة يسوع، ومع ذلك فلا تتضمن المشناه أي شيء مُطلقاً عن يسوع أو الحواريين رغم أنها تتناول كل "الهرطقات" التي تعرضت للمحكمة العليا اليهودية منذ ٤٠ ق.م. حتى حوالي سنة ٢٣٧ م.

وتعد المشناه بمثابة أو أشبه ما تكون بيوميات لأعمال المعبد اليهودي وتاريخ الفريسيين الذين تم اتهامهم بقتل يسوع – كما يقولون – فكيف لا يحاول أي حاخام أن يستبعد مثل هذه التهمة؟ إنه صمت يفسره بعض العلماء الحداث على أن يسوع قد وجد قبل التاريخ الذي بدأ فيه تدوين المشناه.

المراجع:


L. Cascioli : **La Fable du Christ**, Viterbo, 2001

Fau, G. : **Le christianisme sans Jésus**, France-Quercy, 1995

Peytrignet, R. : **Jésus-Christ, Mythe ou personnage historique**, Réflexion, 2002

Vautier, A. : **Le secret de Jésus**


## المسيحية والمؤرخون القدامى (٤/٢)

تناولت في المقال السابق "المؤرخون اليهود وأصول المسيحية الأولى"، لأوضح كيف أنها بدأت في الصراعات والتحريف والأكاذيب، لأؤكد خاصة ان مصر لم تكن مسيحية بكاملها في أي وقت من الأوقات وأن الوثائق الأولى تثبت عكس ما يقال. واتناول في هذا المقال الثاني دور المؤرخون الوثنيون..

**المؤرخـــون الوثـنيون:**

هناك ظاهرة لافته للنظر وهي أنه ما من واحد من الكتّاب اللاتين أو اليونان، في القرن الأول الميلادي، قد ذكر اسم يسوع، وإن كان هذا الصمت له مغزاه أو حتى إن لم يدل على شيء في حد ذلك، لكن، كيف لهم ألا يلحظوا وجود المسيحيين الأوائل أو لم يتحدثوا عنهم على الإطلاق، فما من واحد منهم قد ذكر مثلاً تلك الظلمات التي حطت على المدينة وخيمت على كل شيء عند وفاة يسوع! بل لم يشر أي واحد منهم حتى إلي احتمال حدوث كسوف للشمس ولو جزئياً! وما من واحد منهم قد لاحظ ذلك النجم اللامع الذي أرشد خطى ملوك الأعاجم، بل ولم يلاحظه أي عالم فلك أو أي مُراقب حتى للسماء.

ويتحدث المؤرخ السوري لوسيان أنه سمع، قبل وفاته، سنة ١٩٠م، عن ساحر أدخل طقساً جديداً قائماً على الأسرار الخفية في فلسطين وأنه قد صلب. وفي روايته المعنونة "موت بريجينوس" تكلم عن ذلك الطقس الجديد قائلاً: "وكانوا يعبدون مُغالطهم المصلوب". ويقول روبير بترينييه إن هذه العبارة لها أهميتها بالفعل "لأن المسيحية في البداية تم تقديمها على أنها عبادة ذات أسرار"، أي أنها لا تعلن للعوام.

ومن الغريب أن لوسيان السوري، حتى أواخر القرن الثاني، لم يكن قد سمع شيئاً لا عن صلب المسيح ولا عن الأناجيل، وذلك رغم قربه من تلك المنطقة التي توصف بأنها مهد المسيحية، خاصة وأنه كان يسخر من كل العبادات الموجودة.

كما أن المؤرخين اللاتين لا يذكروا شيئاً عن مذبحة آلاف الأطفال الأبرياء التي أمر بها الملك هيرود. ويعجب الباحثون من صمت المؤرخين فيما يتعلق بقيام الأموات وتجولهم في شوارع المدينة بأكفانهم، كما يقول أحد الأناجيل.. ومثل هذه الأحداث لو كانت قد وقعت فعلاً للفتت نظر أي مؤرخ من المؤرخين الذين عاصروها أو أتوا في القرن التالي لها.

**بـيـلاطـــس:**

إذا كان القديس جوستان قد زعم، في منتصف القرن الثاني، إنه قد اطلع على التقرير الذي رفعه بيلاطس إلى رئيسه، فهو لم يقرأه بالفعل وإنما افترض وجوده فحسب ضمن أوراق الدولة ومستنداتها. وإن كان ترتوليان، وهو يُعد أول الكتّاب المسيحيين باللغة اللاتينية، قد راح يكرر قول القديس جوستان، فإن وقائع التاريخ تناقض هذه العبارة.

ففي مطلع القرن الرابع قام الإمبراطور ماكسيما دايا بنشر وتوزيع "أعمال بيلاطس". وقد وصفها المؤرخ يوسبيوس بأنها "مليئة بالشتائم ضد المسيح"، لذلك قال إنها من النصوص المحتجبة، أو التي يجب أن تُحجب لسبب فاصل: إنها تتحدث عن صلب المسيح في السنة السابقة من حكم تيبريوس، أي في سنة ٢١، في حين أن بيلاطس قد عُين حاكماً على فلسطين في سنة ٢٦".

وفيما بعد، قام المسيحيون بإعادة نشر "أعمال بيلاطس" حيث نراه يتولى الدفاع عن يسوع المسيح! وكان هذا الكتاب يحتل الصدارة في آداب القرون الوسطى، وقد ضُم بعد ذلك إلى إنجيل نيكوميد. ويوضح روجيه بترينييه أنه ما من مؤرخ في يومنا هذا يعتبر هذا النص نصاً أصلياً وأن الجميع يعتبرونه من

الروايات، مؤكداً: "وفي نهاية القول، إننا لا نمتلك أية وثيقة رسمية ولا أي تقرير رسمي أو شهادة رسمية حول يسوع من روما الوثنية".

**سويتونيوس**: (حوالي ٦٩- حوالي ١٢٦) Suétone

عاش سويتونيوس في الفترة ما بين ٦٩ و١٢٦م، وكتب سيرة أثني عشر إمبراطوراً رومانياً، من يوليوس قيصر، المتوفي ٤٤ ق.م.، حتى دومثيان المتوفي سنة ٩٦ م، وهو معاصر تاسيتوس وصديق للفيلسوف بليني الأصغر. وقد شغل منصب سكرتيراً للإمبراطور سبتكيوس كلاروس وكان مسئولاً عن الأرشيف الإمبراطوري. أي انه يمكنه الاطلاع على ما يريد من وثائق.

وتأتي سيرته للإمبراطور تيبريوس، المولود سنة ٤٢ ق.م والمتوفي سنة ٣٧ م فرضاً مواكبة لحياة يسوع، إلا إنه من الصعب أن نجد بها أية إشارة إليه أو إلى أي من تفاصيل حياته. أما في سيرته عن كلود يوس، المولود سنة ١٠م والمتوفي سنة ٥٤م، فيؤكد سويتون أنه في بداية حكمه "قد طرد اليهود من روما لأنهم كثيراً ما كانوا يثيرون القلاقل بقيادة المحرض كريستوس". (Impulsore Chrestos) وقد تمت هذه الواقعة سنة ٤١م. أما سويتون فقد كتب هذه الأسطر حوالي سنة ١٢٠م، وهو تاريخ جد بعيد عن الأحداث المذكورة.

والغريب في الأمر أن كلاً من فيلون أو فلافيوس جوزيف لم يذكرا شيئاً حول هذا الموضوع، بل على العكس من ذلك، فإن جوزيف يتحدث عن كلوديوس على أنه حاكم مُتفهم لعادات وتقاليد اليهود.

وهنا لابد من وقفة تتعلق باسم كرستوس Chrestos والتفرقة بينه وبين اسم كريستوس Christos، فهذا الأخير يعني المدهون بالزيت أو الممسوح، أما الأول فهو اسم شائع ويعني باليونانية "الطيب" أو "الأفضل". وكان شديد الانتشار بين العبيد ولدى اليهود. وقد أشار الباحث لينك أن اسم كرستوس قد ورد أكثر من ثمانين مرة في النصوص اللاتينية.

ويورد ديون كاسيوس، على عكس سويتون، "أن اليهود كانوا من الكثرة في روما بحيث يصعب طردهم دون إثارة القلاقل، قائلاً إن كلوديوس لم يطردهم وإنما اعترض على اجتماعاتهم التي ينص عليها شرعهم". وبناء على ذلك يرى روبير بترينييه أنه حتى وإن قام الإمبراطور بطرد بعض اليهود، فلم يكن بينهم مسيحياً واحداً في روما حتى سنة ٤١م، مثلما لم يكن هناك أي مسيحي في مدينة بومباي (الإيطالية) سنة ٧٩م.

لذلك يقول: "لو افترضنا جدلاً أن كريستوس سويتون هو يسوع المسيح، فإن يسوع لم يمت أيام تيبريوس، والاعتماد على نص سويتون لإثبات تاريخية يسوع يُعد بمثابة أضحوكة."

أما ميشيل كوكيه (Michel Coquet) فيوضح أن اسم كرستوس (Chrestos) كان موجوداً منذ القرن الخامس قبل الميلاد وقد استخدمه كل من اشيليوس وهيرودوت وغيرهما. وهو اسم يقابل اسم سوتير باليونانية ويعني مُنقذ.

**تاسيتوس** (55-120) Tacite

تاسيتوس مؤرخ لاتيني عاش فيما بين عامي ٥٥ و ١٢٠ م، وقد اشتهر بجمال لغته الأدبية، وفي "الحوليات" التي كتبها يتعرض إلى شائعات تتهم نيرون بإشعال حرائق روما عام ٦٤م والتي قام الإمبراطور باتهام

المسيحيين بإشعالها، ويقول تاسيتوس: "إن اسم المسيحيين مشتق من المسيح الذي حُكم عليه بالموت أيام تيبريوس من الحاكم بيلاطس البنطي."

ويوضح ميشيل كوكيه أن هذا النص يرجع إلى القرن الحادي عشر ولم يُعرف إلا سنة ١٤٢٩م ودخل مكتبة مديتشي سنة ١٤٤٤:"وبعد الأبحاث الجادة التي أجريت عليه لمعرفة أصالة الوثيقة أجمع العلماء أن هذه الفقرة الخاصة بالمسيح مُزيفة ودخيلة على النص الأصلي". وتُشير الأصابع إلى بودج(Podge) ، وكان سكرتيراً لعدد من الباباوات هو الذي دسّ هذه الجملة.

ويسخر ميشيل كوكيه قائلاً: "نتمنى للمسيحيين أن يُعد هذا النص من النصوص الممنوعة عن التداول لأنه وإن كان قد تحدث عن موت المسيح إلا أنه لا يقول شيئاً عن بعثه: وبالنسبة للعقيدة المسيحية فإن الحدثين، الموت والبعث، لا انفصام بينهما. وبما أن تاسيتوس استبعد قيام يسوع وأورد ببساطة خبر موته فذلك راجع إلى أن كل إنسان يموت.. وفي النهاية، إن هذا النص الذي ينكر البعث أو القيام لا يمكنه إثبات وفاة المسيح".

وأياً كان الأمُر فقد كتب تاسيتوس حولياته حوالي سنة ١١٧، وكان عدد المسيحيين قد تزايد في روما وبدأت حياة يسوع تنتشر بينهم، وإذا ما كان قد كتب هذه الجملة فعلاً فيمكن أن يكون قد استقاها من المسيحيين أنفسهم، وما أكثر ما كانوا يروجونه. وكان سِلسيوس Celsius يؤكد "أنهم قد غيروا وبدّلوا في نصوص الأناجيل وفقاً لهواهم، ثلاث أو أربع مرات أو أكثر في النصوص البدائية لاستبعاد ما كان يُعترض عليه".

**سينيك**: (٤ ق.م- ٦٥م) Sénèque

يُعد سينيك من فلاسفة القرن الأول، وقد عاش فيما بين ٤ق. م و٦٥، أي في الفترة الشديدة القرب ببداية المسيحية، فلم يذكر شيئاً عن يسوع، ولم يتورع القديس جيروم أن يجعل منه واحداً من أباء الكنيسة، وقد قامت الأيادي العابثة بملء هذه الفجوة باختلاق مراسلات بين سينيك والقديس بولس. لكن سرعان ما تكشفت عمليات التزوير لتدين هذه الخدعة بأنها أحط تزوير يُدين مصداقية تلك الأيادي.

المراجع:


Bernard, J.L. : **Apollonius de Tyane et Jésus**, 1977

Coquet, M. : **La vie de Jésus démystifiée**, 2003

Duquesne, J. : **Jésus**, 1994

Massey, G. : **Les origines du christianisme**, 2003


## المسيحية والمؤرخون القدامى (٤/٣)

في هذا الموضوع المتعلق بأصول المسيحية الأولى وما نستكشفه من المؤرخين القدامى تناولت المؤرخون اليهود في المقال الأول، ثم المؤرخون الوثنيون في المقال الثاني، وأتناول هنا، في المقال الثالث، المؤرخون اليونان، لأوضح بالنصوص الرسمية كيف ان المسيحية لم تكن انتشرت في العالم وخاصة في مصر منذ القرن الأول كما يفترون.

**المـؤرخـــون اليــونـان**

**بـلـوتـارك**: (٥٠-١٢٥م) Plutarque

يُعد بلوتارك، المؤرخ اليوناني الذي عاش فيما بين عامي ٥٠ و ١٢٥م، مؤلف "مشاهير الرجال"، إلا أنه لا يقول شيئاً عن يسوع، وعلى الرغم من أسفاره المتعددة في أثينا وروما والإسكندرية مجاوراً لليهود، فلم يلحظ وجود المسيحيين ولم يتحدث إلا عن اليهود وأحوالهم.

**بليني القديم** (٢٣ -٧٩م) Pline L'Ancien

عاش بليني القديم فيما بين ٢٣ و٧٩م وكان من علماء الطبيعة إضافة إلى كونه أديباً وهو عمّ بليني الصغير، فقد ذهب إلى فلسطين حوالي عام ٦٠م مع الجيش الروماني. ولم تكن الأحداث قد خبأت فرضاً حول حياة يسوع ومعجزاته، بل كان من الممكن أن يقابل أي فرد من الذين عاصروه، لكن في كل مؤلفاته التي يبلغ عددها مائة وخمسون مجلداً فهو لا يذكر كلمة واحدة عن يسوع وأحداثه.

**أبوللونيوس من طـوانه** (توفى عام ٩٧)Apollonius de Tyane

(طوانه بين قونية وطرطوس)

لا نعرف الكثير عن شخصية أبوللونيوس الطواني الذي يُقال إنه عاش في أواخر القرن الأول الميلادي إلا أنه كشخصية أسطورية قد لعب دوراً عظيم الأثر في الصراع ضد المسيحية في أواخر العصور القديمة، لأن الناس كانوا يطلقون عليه أنه المسيح – خاصة وأنه كان موجوداً في نفس الفترة التي عاش فيها السيد المسيح.

وفي مطلع القرن الثالث، حينما قام الأديب فيلوسترات Philostrate بكتابة تاريخ حياة "أبوللونيوس الطواني" لم يشك في النجاح الذي كان سيلاقيه بطله ولا المعنى الذي اكتسبه بشدة الشبه بينه وبين يسوع. فقد كان يحاول التعبير من خلاله عن الإنسان الحكيم المثالي، عن ذلك الإنسان الإلهي، المتقشف، الصامت، والذي كان يُعلم الناس أن "تمجيد الله العلي لا يكون بالأضاحي الدامية وإنما بنقاء القلب، كما كان معروفاً عنه أنه لغة الطيور، مُلمّ بلغات الكون، عليم بأغوار القلوب والنبوءات وشفاء الناس ".

وظل الشعب حتى أواخر القرن الثالث يؤمن بأنه كان المسيح، حتى في بيزنطة المسيحية نفسها، كانوا يتبركون بتعاويذ حامية منسوبة إليه.

ويؤكد إيمانويل إيفسينج (Emmanuel Evsing) في كتابه المعنون: "من سيد العدالة إلي يسوع أو التاريخ الذي تم تحريفه" (١٩٧٩)، "أنه لا يمكن لأي شيء إثبات أنه لا توجد تداخلات شديدة الوضوح بين الإثنين" (صفحة ٥٩)، بل يؤكد في الفصل الأول من كتابه "يسوع" عبارة عن خليط من وقائع حياة سيد العدالة لدى الآسينيين ويسوع، وأبوللونيوس الطواني". وهو ما اعتاد الآباء الأوائل عمله.

ويضيف بعد ذلك قائلاً: "أن كافة الإستشهادات التي استعانت بها الكنيسة من سفر إشعياء لتنسج به قصة يسوع نبوءات بصيغة الماضي، أي أنها وقعت وتمت، فكيف يمكنها أن تنبئ عن المستقبل؟."

**سيلس** (القرن الثاني) Celse

يُعد كتاب "الخطاب الحق" الذي كتبه المُفكر سيلس حوالي عام ١٧٨م. النقد المنهجي الوحيد للمسيحية الوليدة في عصر الوثنية. ولا يعرف الكثير عن حياته إلا أنه قد سافر إلى كل من فلسطين وفينيقيا ومصر. وقد أهدى له الفيلسوف اليوناني لوسيان دي ساموزات (١٢٥-١٩٢) بحثه حول "الِكسندر الأبونوطيقي" عام ١٨٠م، قائلاً: "إلي سيلس، إلى زميلي وصديقي الذي أُعجب به لحكمته، وحبه للحق، ودماثة خلقه، وصفاء حياته، وتفانيه تجاه كل من يعرفهم."

و "الخطاب الحق" هجوم موضوعي شديد الدقة ضد المسيحية، بلا تعصب ولا إجحاف، بل شديد الأمانة والإخلاص، فمن خلال تحليل منطقي الوضوح يبرز سيلس كل تناقضات ذلك الدين الجديد، وكلها تناقضات سوف يتناولها العلماء ورجال الدين المنشقين عن الكنيسة في هجومهم عليها ابتداء من القرن السادس عشر، مع ما عُرف باسم بداية عصر التنوير.

ولا يعني ذلك أن سيلس كان مُلحداً، بل على العكس من ذلك لقد كان شديد الإيمان بالله، بإله خالق الكون وكل الخلائق، إله ليس كمثله شيء. وكان أكثر ما يهتم به هو سلامة الدولة، ومن أهم ما كان يتبينه آنذاك أن "أي انتصار للمسيحية سيؤدي حتماً إلى انهيار في الوطنية."

ونُطالع في موسوعة أونيفرساليس الفرنسية أن كتاب "الخطاب الحق" قد ضاع تماماً، وهو ما يُفهم منه أنه من النصوص التي أبادتها الأيادي العابثة في الكنيسة الوليدة آنذاك. إلا أنه قد أمكن استعادة تكوينه من الرد المطول والقائم على الشرح والتبرير الذي كتبه أوريغون، حوالي عام ٢٤٨م، والذي كان يستشهد جزءاً من كتاب سيلس ليرد عليه.

وتقول الموسوعة "أن نقد سيلس شديد القوة عميق الفهم، وإن كان أسلوبه يصل أحياناً إلى درجة من الحدّة. وكان سيلس يرى أن تعاليم المسيحيين ليست إلا حماقات ولا أخلاقيات وأن أصل مذهبهم همجي ولا يأتي بأي جديد فكل ما تتكون منه المسيحية موجود في الديانات الوثنية التي تتفوق عليها بالعمق الزمني، ونصوص الأناجيل عبارة عن أساطير فظة ولا أساس لها من الصحة مثال الحمل العذري، والمعجزات التي ليست سوى ألاعيب من السحر، وقصة البعث التي لم تشهدها سوى امرأة مشكوك في ذمتها، وتجسد الله في شكل إنسان هي خرافة بحتة ولا يقبلها عاقل، إذ أن عملية التجسد هذه تقتضي تغييراً في الله الذي ليس كمثله شيء. كما كان سيلس ينتقد عملية العفو التي يقوم بها المسيح والقساوسة من بعده."

وقد كان سيلس يرى ان المسيحية تمثل خطراً على أمن الدولة من حيث أن المسيحيين عبارة عن شرذمة من الثوريين المتعصبين الذين يعيشون على هامش الدولة ويحيكون أساطير عقيدتهم في الخفاء، بل كان يرى المسيحية كنوع من الانحراف الذي لا أساس ولا سند تاريخي له. وبعد ستين عاماً من تداول كتاب "الخطاب الحق" وزيادة انتشاره، طلب القس إمبرواز من الفيلسوف أوريجين (Origène) أن يفند دعواه بالتفصيل. وأتى رد أوريجين بعنوان "ضد سيلس" في ثماني مجلدات. وبفضل هذه المجلدات الثمانية عرف العالم ما كتبه سيلس من نقد شديد للمسيحية الناشئة آنذاك، بعد أن أبادته الكنيسة.

ومما انتقده سيلس في تلك المسيحية الناشئة ما يلي:

• في الآونـة الأخيرة عثـر المسيحيون بين اليهود على موسى جـديد أغـراهم أكثر من الأول. ويقـولون عنه أنه ابن الله وأنه مـؤلف عـقيدتهم الجـديدة. وقـد جمع من حوله وبلا اختيار شرذمة من البسطاء الذين لا خـلق ولا خـلاق لهم، أفـظاظ عـادة ما يمثلون تلك الفئة الملتـفة حـول الدجـالين والمحتالين، بحيث إن أولئـك الذين تـقبلوا هـذه العقيدة يكشفـون عن مـدى الثـقة التي يمكن أن نضعها فيها.

• أي إله وأي ابن إله ذلك الـذي لم يستطع أبـوه أن ينقذه من أكثر أنواع العذاب فضيحة، بل ولم يتمكن من إنقـاذ نفسه!

• إذا كان عيسى يـود حقاً الإفصاح عن صفته كإله فكان يتعينّ عليه أن يظهر نفسه لأعـدائه (بعـد بعـثه) ، وللحاكم الـذي أدانه، وأن يُظهر نفسه للجميع، لأنه إذا ما كان قد اجتاز تجربة الموت، إضافة إلي كـونه ربنا كما يـزعمون، فما كان يجب عليه أن يخشى أحـداً، لأنه على ما يـبدو لم يُبعث لكي يخفي شخصيته!

• إن من تطلقون عليه اسـم يسوع، لم يكن إلا رئيساً لعصابة من قطـّاع الطـرق والمتسكعين، ولم تكن المعجزات التي تنسبونها إليه إلا ظـواهر تتم بناء على معرفة بعض أنواع السحر والخـدع الغيـبية. والحقيقة أن هـذه الوقائع المزعـومة ليست سوى أساطير صنعـتموها بأنـفسكم دون حتى أن تنجحوا في إضفاء مسحة من المصداقية عليها، والجميع يعلمون أن ما كتبتموه هـو نتيجة للتعـديلات التي تمت بعد الانتقادات التي وجهت إليكم.

• تـرى ما هـو الغرض من تجسد الله ونـزوله على الأرض كما تـزعمون؟ أهـو بهـدف أن يعرف ما يـدور بين الناس؟ لكن، أليس الله عليماً بكل شيء، أم أنه بعلمه كل شيء فـإن قـدرته الإلهية محـدودة ولا يمكنه إصلاح أي شيء إن لـم ينزل بنفسه أو أن يـرسل مـندوباً عـنه.

• هـل يمكن لأي جسد بعد أن يتحلل أن يعـود إلى حالته الأولى؟ وإذ تخـرسهم الإجابة، لا يجد المسيحيون ما يقـولـونه سوى أن كل شيء ممكن بالنسبة لله. لكن الله الحـق لا يمكنه أن يفعـل شيئاً مُخـزياً ولا أن يطلب شيئاً منـافياً للطبيعة.

وإذا ما كان النـقـد الـذي يوجهه سيلس للمسيحيين أو للمسيحية يـدخـل إجمـالاً في دائرة النقـد إلا أن هناك فـقرة تستوجب التوقـف والـدراسة لأهميتها بالنسبة لحياة يسوع. وفيها يـوجه سيلس الكـلام إلي يسوع مباشرة قـائـلاً: "لقـد بـدأت بأن اختلقت لنفسك نسباً مجيداً بـزعم أنك ولـدت من عـذراء. وفي الواقـع أن أصلك من كوخ متواضع في اليهودية، وابن ريفية مسكينه كانت تقـتات من عملها. وقـد وقعـت في الـزنا مع جندي روماني اسمه بانتيرا، وقـد طردها زوجها النجار (...) وسافـرت إلى مصر حيث رُحت تعمل بساعـديك بالأجـر، وهناك قـد تعلمت بعضاً من تلك الألعاب السحرية التي يجيدها المصريون، ثم عـدت إلى بلـدك مـزهـواً بالأعمال السحرية التي تجيدها وأعـلنت نفسك إلهاً."

وبغض الطرف عما في هـذا النص من تجريح بالسيدة مـريـم – وإن كان لا يـزال الاتهام وارداً بالأنـاجـيل ولدى اليهود، فإن ما يستوقـف الانتباه هنا هـو ذهـاب يسوع إلي مصر وبقائه فيها فترة طـويلة وتعلمه الأعمال الخـارقة التي كان يجيدها العـديد من الكهنة المصريين القـدماء. إنها نقطة جـديـرة بالبحث والدراسة خاصة أن حياة يسوع من سن الثانية عشر حتى سن الثـلاثـين في غموض مُطلق ولا أحـد يعلم عنها أي شيء.

وفي كتاب للعـالم الفـرنسي لـويس روييه (Louis Rougier) بعنوان "الخـطاب الحـق ضد المسيحيـين" يُشير إلى ظاهـرة لافته للنظر حـول أصول المسيحية الأولى والاهتمام الذي لا يكاد يـذكر الـذي أثـارته دعاية الديـانة

الجديدة في المجتمع الوثني حتى النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني. موضحاً كيف أن اسم المسيح قد تسلل خلسة في التاريخ العلماني، بأبجدية خطأ في الكتاب الذي ألفه سويتون عن "حياة أثنى عشر قيصراً" حيث يقول المؤلف بمناسبة أحد أفعال كلوديوس: "لقد طرد من روما كل اليهود الذين كانوا في هيجان شعبي متواصل بسبب تحريض واحد اسمه كرستوس.. (Chrestus)

وبعد ذلك بقليل، أيام نيرون، يورد كتاب حولياته عبارة: "أنه قد تم فرض عقاب على المسيحيين، تلك الفئة من الرجال الذين يتبعون شعوذة ديانة مؤذية". ثم يوضح لويس روجييه أن تاسيتوس وهو يكتب بعد ذلك بنصف قرن عن الأحداث التي يرويها وقبل سويتون، يعلن أن نيرون، لكي يحدّ من الشائعات التي كانت تتهمه بحريق روما سنة ٦٤م، قدم بعض المتهمين إلى المحاكمة ممن يطلق عليهم العوام عبارة "مسيحيون."

ويُشير روجييه أن تاسيتوس يقدم المسيحيين في كتاباته على أنها فئة من أحط الطبقات وهم "مكروهون لرجسه(Flagitio) ، ومضطهدون لأنهم كانوا يعترفون بذلك، والبعض الأخر لأنهم كانوا مقتنعين بعدائهم للجنس البشري".

ومن الناحية التاريخية، فإن خطاب بليني، أيام كان حاكماً لبلدة بيتاني (بيت عانيا)، والذي أرسله إلي الإمبراطور تراجان سنة١١٢م، يُعد أقدم وثيقة في النصوص العامة والمتعلقة بالمسيحيين، وهي في نفس الوقت الشهادة الأقل غموضاً عن النقص الشديد في المعلومات، وفي مطلع القرن الثاني، وسط الطبقات المثقفة فيما يتعلق بموضوع الطائفة الجديدة.

ويقول روجييه: "على الرغم من أهميته الكبيرة، فإن كتاب سيلس قد مر وكأن أحداً لم يلاحظه، فالمسيحيون في أواخر القرن الثاني ومطلع الثالث لا يتحدثون عنه أبداً، وعندما قام قسطنطين صبيحة مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، ثم بعد ذلك بعام تقريباً، قرر هدم المعابد الوثنية. وفي سنة ٤٩٩، عندما قام الإمبراطور المسيحي تيودور الثاني ومن بعده فالنتينيان الثالث بإصدار أمر "بهدم كل ما كان يمكنه إثارة الغضب الإلهي ويجرح النفوس"، لم يذكر كتاب سيلس مع أعمال بورفير وأريوس، ويمكننا تخمين أن النص الأصلي كان قد ضاع منذ فترة طويلة "(صفحة٣١).

ثم يُشير إلى أن أوريجين قد كتب فيما بين ٢٤٦ و٢٤٩ ثمانية كتب لتفنيد الكتب الأربعة التي كانت تتضمن النص الأصلي الذي كتبه سيلس. وبفضل ردود أوريجين، يقول روجييه: "أصبحنا بذلك نمتلك تسعة أعشار المادة الأصلية وعلى سبعة أعشار كلمات الكتاب الذي خطه سيلس. وبفضل ذلك الرد وحده أمكننا استعادة النص الأصلي للكتاب".. ويورد روجييه مائة وستة عشر بنداً من البنود التي تمثل إدانة سيلس للمسيحية والمسيحيين.

ومما قاله سيلس في مقدمة كتابه، ويرد تحت البند رقم ٤ من كتاب روجييه :(...) "إن الذين يؤمنون بشيء دون أن يتفحصوه ويؤمنوا بكل ما يُقال لهم، أشبه ما يكونوا بأولئك البؤساء الذين يقعون فريسة الدجالين، والذين ينساقون خلف كهنة الإله ميثرا أو سبازيوس وعبدة هيكانت أو الألهة الأخرى المشابهة، برؤوس تترنح من هوسهم واحتيالهم. ونفس الشيء بالنسبة للمسيحيين، فما من واحد منهم يريد تقديم الأسباب التي دعتهم إلى ما تبنوه أو يسمعوا أي شيء. فهم يرددون جميعاً وكأنهم على اتفاق: "لا تبحثوا شيئاً، عليكم بالإيمان، إن إيمانكم وحده هو الذي سينقذكم" (صفحة ٣٨).

**بورفير** (٢٣٤ – حوالي ٣١٠) Porphyre

لعب بورفير دوراً هاماً في تطور الفكر في أواخر العصور القديمة وطوال العصور الوسطى، وعمله الضخم ترك أثراً واضحاً بين العديد من المؤلفين اليونانيين واللاتين والعرب. إذ يتضمن كشف أعماله ٧٧ عنواناً تمتد أبحاثه خلالها إلى أهم الميادين التي شغلت عصره وهي القواعد اللغوية، وعلم البلاغة وعلم الفلك والرياضيات، والأساطير، والدين، وتاريخ الفلسفة، وعلم الأخلاق، والفيزياء، وما وراء الطبيعة، إضافة إلى قيامه بنشر أعمال أستاذه أفلوطين.

ومما يؤسف له أن معظم أعماله قد "ضاعت" لأنه قد كتب بحثاً بعنوان: "ضد المسيحيين". وهو نفس العنوان الذي كان استخدمه سيلس فقد "قام كلا من قسطنطين وفالنتينيان، وتيودوز بحرق كل الكتابات التي يمكنها "أن تثير غضب الرب أو جرح شعور الأرواح" (روجييه بترينييه، صفحة ١٧٥). وقد هنأ الأب أغسطين السلطات التي تصدت لحماية أعماله التي تمجد في المسيحية. أما جريجوار الأعظم فقد أمر بحرق المكتبة العامة وأمر بهدم كل الكتب غير الدينية، والمقصود بها الكتب التي تهاجم المسيحية ".

ويقول بيير هادوت (P. Hadot) في كتابه عن "بورفير وفيلتورينوس" : "إذا كانت المسيحية، مثلها مثل اليهودية ، ديانة تراثية لشعب معيّن، لأفرد لها بورفير مكاناً واسعاً في أعماله المتعلقة بالدين، لأنه يرى أنها تفتقر أي أساس تاريخي، ومع ذلك تزعم المسيحية بأنها ديانة عالمية ومُطلقة، ومن ناحية أخرى أنها تتضمن مفاهيم عبثية ولا عقلانية بالنسبة لله. لذلك فهو يدينها من وجهة نظر الديانات المعينة ومن وجهة نظر التصعيد الفلسفي".

ويقول هادوت في عرضه لكتاب بورفير والوارد في موسوعة أونيفرساليس الفرنسية (مجلد١٨صفحة ٧٤١)،"إن الديانة المسيحية ليست قائمة على أي أساس تاريخي، وتحاول أن تجد لنفسها جذوراً في التراث اليهودي، إلا أن المسيحيين لا يكفون عن الاستحواذ على تاريخ الشعب اليهودي والذي لا يحترم حتى تراثه القومي، ولا يوجد مطلقاً ما يبرر هذا الاستحواذ: فالكتابات اليهودية لا شأن لها بالكتابات المسيحية. ومن ناحية أخرى، لا يبقى أي شيء من كتابات موسى فقد احترقت كل أعماله مع المعبد (٥٥٠ ق.م). وما بقي باسمه قد تم تأليفه بعد أكثر من ألف عام، ومن كتبه هو الكاهن عزرا. وكذلك كتاب دانيال، فهو ليس من زمن سيرس، أنها نبوءات كتبت بعد الأحداث في وقت انطيوقس إبيفان". ومن هنا نرى كيف كان بورفير سباقاً فيما توصل إليه على مدرسة النقد التاريخي للنصوص المقدسة.

كما كان ينتقد "أن الأصول التراثية المسيحية لا قيمة تاريخية لها لأن القصص الإنجيلية مليئة بالمتناقضات وبعدم التوافق. وقد قام الحواريون بتحريف تعاليم يسوع. وبالتالي فالمسيحية لا تمتلك أصالة تراثها". ومن ناحية أخرى ينتقد بورفير الفكرة التي لدى المسيحيين عن الله قائلاً: "إن إلههم في نظرهم عبارة عن طاغية له نزوات متقلبة وغير متوقعة وقد قام وسوف يقوم بأعمال عشوائية تماماً ومنها: خلقه العالم في لحظة ما، واختيار الشعب اليهودي، وفكرة التجسد، والبعث، وأخيراً هدم العالم الذي قام هو بخلقه.. ثم يقول المسيحيون إن "الله قادر على كل شيء"، إلا أنه لا يستطيع أن يجعلني أقتنع بأن إثنين زائد إثنين يساوي مائتين وليس أربعة"!

لذلك يتحفظ بورفير على ما طالعه في الأناجيل وينتقدها إجمالاً قائلاً: "إن كتبة الأناجيل هم مؤلفو الأشياء التي يحكونها عن يسوع وليسوا مؤرخوها". وكانت عباراته هذه وكل ما ورد في كتابه "ضد المسيحيين" كافياً ليقوم الإمبراطور الروماني تيودوز (٣٧٩ – ٣٩٥) بإصدار قانون "يعاقب بالموت كل من يمتلك كتاباً من أعمال بورفير".

ومما قاله بورفير حـول عملية صلب يسوع: "من الواضح أن هذه القصة الملفقة إما أنها خاصة بأكثر من مصلوب، أو أنها تتعلق بشخص لا يعرف ولا يفهم من حـوله أي شيء عنه. وبما أن هـؤلاء القـوم، كـتبة الأناجيل، قد عجزوا عن قول حقيقة كيف مات ولم يكتبوا سوى اختلافات، فذلك يعني أن كل ما كتبوه لا يوجد فيه أي شيء يستحق ثقتنا" ("يسوع ضد يسوع" صفحة ٩٢).

المراجع:


Celse : **Discours vrai contre les chrétiens**, Liberté

Evsing, E. : **La grande imposture du Maître de la Justice à Jésus, ou l'histoire falsifiée**, Actus, 1979

Rougier, L. : **La genèse des dogmes chrétiens**, Albin Michel,1972

Peytrignet, R. : **Jésus-Christ, Mythe ou personnage historique**, Réflexions, 2002

Bernard, J. L. : **Apollonius de Tyane et Jésus**, Laffont, 1977


## المسيحية والمؤرخون القدامى (٤/٤)

أتناول في هذا المقال الرابع والأخير في مبحث المسيحية والمؤرخون القدامى، الذي تناولت فيه المؤرخون اليهود، والوثنيون، واليونان، وأختتمه بالإمبراطور جوليان على أنه يمثل نقطة فارقه في تاريخ تلك العقيدة المنسوجة عبر المجامع على مر التاريخ، لنرى كيف أنه حتى منتصف القرن الرابع لم تكن المسيحية تحارب فحسب بل أنه لو لم يتم تدبير قتل الإمبراطور جوليان لأتى عليها في ذلك الوقت!

-**الإمبراطـور جـوليـان** L'Empereur Julien (331 -363)

أو **جـوليـان المرتـد**

لقد امتد حكم الإمبراطور جوليان ٢٣شهراً من ٣٦١إلي ٣٦٣، حاول خلالها تغيير نسق الدولة تغيراً جذرياً، فقد حاول الابتعاد عن الاستبداد البيروقراطي والعودة إلى بساطة الأباطرة القدامى ووقف عملية تنصير الإمبراطورية، تلك العملية التي كان قد بدأها قسطنطين وأولاده، والعودة إلى الديانة الوثنية.

كان جوليان ابن شقيق قسطنطين الذي عند وفاته قام أبناؤه الثلاثة باغتيال جميع أفراد هذا الفرع من الأسرة، ولم ينج سوى جوليان وشقيقه جالوس لصغر سنهما، وفُرض عليهما الدخول في سلك الرهبنة، وكان جوليان في السادسة من العمر عندما شاهد هذه المجزرة بعينيه... ولعل كثرة ما رآه وعاصره من استبداد رجال الدين المسيحي وجرائمهم هو الذي دفعه عام ٣٥١ إلى الارتداد عن المسيحية والعودة إلى الوثنية.

وإذا ما تأملنا تاريخ ميلاده ووفاته، نرى أنه قد ولد بعد أن قامت الأيادي العابثة في المؤسسة الكنسية بتأليه السيد المسيح بستة أعوام، وتوفي مقتولاً قبل انعقاد مجمع القسطنطينية الذي تم فيه إختلاق بدعة الثالوث بثمانية عشر عاماً. أي أنه عاش ومات في فترة من أكثر الفترات شراسة للكنيسة التي كانت تسعى بكل الوسائل لفرض واستتباب عقائدها.

وما أن تولي جوليان الحكم حتى بدأ باستبعاد الفاسدين من الوظائف العامة وأضعف شوكة البوليس السياسي وخفض الضرائب وأعاد التسامح الديني وفتح المعابد الوثنية وألغى امتيازات رجال الدين المسيحي. وقد أصبح عداءه للمسيحيين من الصرامة بحيث استبعدهم من كافة الوظائف العامة ومنعهم من ممارسة مهنة التعليم، فما كان من رجال الكنيسة إلا أن رتبوا اغتياله في إحدى المعارك الحربية التي خاضها ضد الفرس، فقام حارسه الشخصي بتنفيذ عملية اغتياله.

ومن أهم سمات الإمبراطور جوليان اهتمامه بالثقافة والفلسفة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب بعنوان: "خطاب الإمبراطور جوليان ضد طائفة الجليليين". والواضح من العنوان أنه على الرغم من استحواذ المسيحيين على منافذ السلطة إلا أنهم كانوا حتى أيام الإمبراطور جوليان عبارة عن مُجرد "طائفة" من منطقة الجليل.

واحتفاظ التاريخ بالصفة التي فرضتها عليه الكنيسة: "جوليان المرتد"، لأكبر دليل على جبروت القهر والدسائس التي كانت تمارسها المؤسسة الكنسية ولا تزال.. فقد قامت بحرق كل ما كان يُدينها أو يتعارض معها أو يفضح مُخططاتها في كتابات جوليان، ولو لم يقم الأسقف سيريل – بعد أربعين عاماً – بالرد على كتاب جوليان، والاستشهاد بالكثير من أجزائه لما بقي منه أي أثر في يومنا هذا.

وقد قام الماركيز دارجنس D'Argens (1704 – 1771) بترجمة ما تبقى من خطاب الإمبراطور جوليان، بناء على طلب الإمبراطور فريدريك الأعظم إمبراطور بروسيا، وذلك سنة ١٧٦٨.

ومما قاله الإمبراطور جوليان في خطابه ضد المسيحيين النقاط التالية:

• أيها الجليليون، إذا كان الله يريد ألا يُعبد سواه، وهي أولى الوصايا، لماذا تعبدون ذلك الابن المزعوم الذي فرضتموه عليه ؟.(...)

• لا يمكن القول بوضوح أكثر أن يسوع كان مُجرد إنسان... وقد تجرأتم عليه بالتدريج: فجعلتموه ممسوحاً، ثم مسيحياً ثم ابن الله، ثم الله! وهكذا استتب لكم كل شيء.. إن الخطوة الأولى عادة ما تكون مُفزعة، أما الخطوة الأخيرة فلا تكلف شيئاً.(...)

• أيها الجليليون، لقد انشققتم عنا وانتقلتم كالهاربين من الخدمة إلي مصاف اليهود. ويا ليتكم التزمتم بتعاليمهم واكتفيتم بإله واحد ولم تنساقوا إلى عبادة مُجرد إنسان بسيط كما تفعلون اليوم (...) لقد تصرفتم كمصاصي الدماء أخذتم الدم الفاسد وتركتم الأكثر نقاء. ولم تبحثوا عما هو طيب لدي اليهود وإنما انصب كل اهتمامكم إلي تقليد طابعهم السيئ وغضبهم العارم: فمثلهم تماماً تقومون بهدم المعابد والمذابح، وتقومون بذبح المسيحيين الذين تطلقون عليهم اسم الهراطقة لأن لهم عقائد تختلف عن عقائدكم حول ذلك اليهودي الذي قتله اليهود، علماً بأن العقائد التي تساندونها فهي مُجرد هراء وتخاريف قمتم بتأليفها، لأن لا المسيح ولا بولس قد قالوا شيئاً حول هذا الموضوع، والسبب بسيط، إذ أنهما لم يتخيلا أنكم سوف تصلون إلي هذه الدرجة من السلطة التي وصلتم إليها.

• يسوع الذي تبشرون به أيها الجليليون كان من رعايا قيصر، وسوف أدلل لكم على ذلك، ألا تقولون أنه هو وأمه وأبيه قد دخلوا ضمن تعداد سيرينيوس ؟ (ومن الواضح أن باقي النص قد تم حذفه حتى من كتاب الأسقف سيريل الذي كان يفند اتهامه).. لأن فأروس Varus هو الذي كان يحكم سوريا آنذاك وليس سيرينيوس.

• إن ارتيادكم مدارس معلمينا وفلاسفتنا تجعل أي فرد منكم من أصل مشّرف يتخلى فوراً عن عقائدكم المتعصبة.(...)

• إنكم تهدمون ديانات كل الأمم الأخرى خاصة الذين يتمسكون بعبادة إله واحد. وقد تخليتم عن عقائدكم القديمة لتختاروا بين كل العقائد ما يناسب كل الحقراء من كافة الشعوب أمثالكم وأمثال أصحاب الحانات وجامعوا الضرائب والمهرجون وأشباههم.(...)

• لقد نسبتم إلي عيسى ابن مريم بلا أي أساس من الصحة أقوال موسى الخاصة بيسوع حين قال: "يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من أخوتك، مثلي، له تسمعون" (تثنية ١٨:١٥) (...) إنكم تبدّلون وتحرفون في الآيات وفقاً لهواكم. ولا يوجد هنا شيء متعلق بيسوع فلم يكن من سلالة يهوذا بما إنكم لا تريدونه أن يكون ابن يوسف النجار، وتُصرون على أن الروح القدس هو الذي أنجبه! وقد حاولتم إيجاد نسب له من يهوذا لكنكم فشلتم فأناجيلكم تتناقض ومتى ولوقا يتعارضان في شجرة النسب التي يوردانها. وحتى إذا افترضنا جدلاً أن يسوع أمير من سلالة يهوذا، فذلك لا يعني أنه "إله من إله" كما تزعمون، وكل ما هو وارد في سفر العدد متعلق بداود وسلالته لأن داود كان ابن يسي.(...)

• إذا كانت الكلمة هي الله، مُنبثقة من الله كما تقولون، وأنه من نفس كيان الله، كيف إذن تطلقون على مريم أم الله؟ وكيف لها أن تلد إلهاً وهي بشر مثلنا؟

• لقد حاولت أن أوضح لكم أنكم بعد أن انسلختم عنا وقبلتم دين اليهود ثم تخليتم عن كل شعائرهم (...) وقمتم بتأليف نوع جديد من الأضاحي ولستم بحاجة إلي القدس، لماذا لا تذبحون الأضاحي مثل اليهود الذين انشققتم عنهم؟

• إنكم من قلة العقل بحيث لا تتبعون حتى التعاليم التي أتى بها الحواريون، إذ أن أول خليفة لهم قد غيرها وبدّلها بلا تورع أو حياء، فلا بولس ولا متى ولا لوقا أو مرقس قد جرؤ أحدهم على القول إن يسوع هو الله. (ومن الواضح هنا أنه حتى القرن الرابع لم يكن تأليه المسيح قد أُدخل على نصوص الأناجيل)! لكن عندما علم يوحنا أنه في بعض اليونان وإيطاليا كثير من أفراد الشعب قد سقطوا في هذا الخطأ (أي أنهم راحوا يؤلـّهون أو يقبلون تألـّيه المسيح الذي تم سنة ٣٢٥) تجرأ يوحنا لدرجة القول بأن يسوع هو الله. وراح يكتب أن الكلمة تجسدت وسكنت فينا. لكن لم يجرؤ على تفسير بأي وسيلة لأنه لم يذكر عبارة يسوع أو المسيح حينما يتكلم عن الله والكلمة. أنه يحاول أن يخدعنا بصورة ملتوية غير واضحة وبالتدريج(...) ! .

• إن يوحنا يعتبر أول مؤلف للشر ومنبع الأخطاء الجديدة التي أقمتموها بإضافة العديد من الإضافات الأخرى إلى بدعة اليهودي المتوفي الذي تعبدونه (...)

• ألم يأمر يسوع قائلاً: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمّل" (متى: ١٧:٥) وبعدها بقليل يُضيف قائلاً: "فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلـّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات" (١٩:٥). وبما أن يسوع قد أمر تحديداً بالالتزام بالشرع وأنه حدد العقوبات بمخالفته وتعليم سواه، وها أنتم أيها الجليليون وقد نقضتم كل بنود الشرع، أي حجة يمكنكم تقديمها تبريراً لذلك؟ فلا يوجد سوى أحد أمرين: إما يسوع يكذب ولا يقول الحق، وإما إنكم مخالفون للشرع غدّارون."

ويورد الباحث لويس برنار (L. Bernard) في كتابه عن "أبوللونيوس الطواني ويسوع" (١٩٧٧) توضيحاً لوفاة الإمبراطور جوليان، إذ يقول: "إن الإمبراطور جوليان، الذي ألصق به المسيحيون عبارة "المرتد"، في القرن الرابع، قد توفى في الحرب إذ قتله أحد جنود الفرس، وليس خيال يسوع كما يزعم المسيحيون الذين وضعوا على لسانه أنه قال وهو يحتضر "لقد انتصرت أيها الجليلي".. لكن المنتصر دائماً ما يُعيد كتابة التاريخ وفقاً لهواه، وعلينا أن نتذكر دوماً أنه طوال القرون الوسطى، كان الرهبان وحدهم هم حفظة التراث اليوناني – الروماني الذي أنقذوه وهم يبدّلون ويعدّلون فيه (صفحة ١٧).

ويا لها من صورة جد مريرة مُهينه تلك التي تصاحب تكوين الديانة المسيحية منذ نشأتها، وقد رأينا عبر كل أولئك المؤرخون المشهود لهم في التاريخ، أن المسيحية الأولى وهي تتكون أطاح مؤسسوها بكل الوثائق الأخرى التي تدينها ولم يحتفظوا إلا بكل ما يتفق وما ينسجون..

المراجع:


Bernard, J. L. : **Apollonius de Tyane et Jésus**, R. Laffont 1977

Rougier, L. : **La genèse des dogmes chrétiens**, Albin Michel, 1972

Julien, l'Empereur : **Discours contre les chrétiens**, Frederic Voss, 1768